صورة المرأة في الأدب الرهباني خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين

في دراسته الرائدة "الجسد والمجتمع: الرجال والنساء والإنكار الجنسي في المسيحية المبكرة"، اتجه بيتر براون *Peter Brown* إلى الاعتقاد في أن المواقف المسيحية المبكرة من النساء طغى عليها طابع "الكراهية" و"العداء"، وراح يعلق على موقف الرهبانية المبكرة منهن بقوله: "لا شك في أن كثيرًا من القصص المروعة التي ذاعت في الدوائر الديرية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين ستصدم المعاصرين عند سماعها، خاصة وأنها أُنتقيت من ركام النفايات الممتد في عمق التاريخ لكراهية النساء في الشرق الأدنى".(١) وذات الاعتقاد تبنته أيضًا أبريل ديكونيك *April Deconick* عند تناولها لرؤية آباء الكنيسة الأوائل للمرأة، وعبرت عنه في العنوان الذي اختارته لدراستها باستحداثها مصطلح "العداء المقدس للمرأة".(٢) وتعبر هاتان الدراستان بوضوح عن اتجاه ساد عدد غير قليل من الدراسات الحديثة مؤداه أن المصادر المسيحية المبكرة لا تنضح إلا بما هو كاره ومعادٍ للمرأة، وأن مصدر هذه العداء يكمن في المفاهيم التي سيطرت على العقلية المسيحية الذكورية آنذاك، والتي جعلت من طبيعة المرأة البيولوجية مصدرًا للإغواء الجسدي وأداة طيعة في يد الشيطان في حربه الشعواء على المسيحية بكنيستها ونظامها الرهباني.

وفي الوقت الذي اعتقد هذا الفريق من الباحثين في ثبات وجمود المواقف المسيحية المبكرة من المرأة، اتجه فريق آخر إلى تناول الوجه الآخر من العملة، وأعني هنا دراسة دور المرأة في تطور الحركة الرهبانية الباكرة، كناسكة وراهبة، واتجه بعضهم إلى حد إمكانية الحديث عن ناسكات قديسات اعتزلن العالم إلى الصحراء، أو كما أطلقوا عليهن "أمهات الصحراء" *mothers of the desert* كمرادف أنثوي لـ "آباء الصحراء".(٣) إلا إن تناقض صورة "القداسة" التي حاول هذا الفريق استخلاصها من الأدب الرهباني مع الصورة السلبية التي يزخر بها دفع بعضهم إلى الاعتراف بأن "دور المرأة في الأدب الرهباني من الموضوعات المهمة والمعقدة"،(٤) بينما اتجه البعض الآخر إلى محاولة تفسير هذا التناقض بالتشكيك في واقعية الصورة السلبية التي حاول كتاب الأدب الرهباني المبكر رسمها بدعوى أنها لا تعبر إلا عن رؤية ذكورية لها أيديولوجيتها الخاصة. ففي سياق تناولها لناسكات الصحراء، ترى ريبيكا كراويس *Rebecca Krawiec* أن "هناك بالطبع اشكالية منهجية حول اعتبار قصص وأقوال الأدب الرهباني التي نُسبت إلى النساء تمثل وجهة النظر الأنثوية، خاصة وأننا غير متأكدين من مؤلفي هذه الأقوال. ولأننا

---

(1) Brown, P. *The Body and Society: Men, Women and Sexual Renunciation in Early Christianity*, New York, 1988, p. 243.

(2) DeConick, A.D., *Holy Misogyny: Why the Sex and Gender Conflicts in the Early Church still Matter*, New York, London, 2011.

(3) Clark, E. A., "Holy Women, Holy Words: Early Christian Women, Social History, and the 'Linguistic Turn' ", *Journal of Early Christian Studies* 6/3(1998), pp. 413-430; Brakke, D., "The Lady Appears: Materialization of 'Woman' in Early Monastic Literature", *Journal of Medieval and Early Modern Studies* 33/3 (fall 2003), pp. 387-402, esp. 387; Harmless, W.S.J., *Desert Christians: An Introduction to Early Monastic Literature*, New York, 2004, p. 440.

(4) Harmless, *Desert Christians*, p. 284.

ذات الأمر اعترفت به أبريل ديكونيك فيما يتعلق بصورة المرأة في كتابات آباء الكنيسة الأوائل، إذ تقول: "إن قصة النساء والكنيسة المبكرة قصة تستعصي على الفهم، خاصة وأن المصادر القديمة تعوق رؤيتنا لهذه القصة أكثر من أن تسهلها. لقد صار من المسلم به القول بأن قصة النساء في المسيحية المبكرة قصة معقدة".

De Conick, A.D., *Holy Misogyny*, p. 147.

لا نستطيع أن نحمل النساء مسئولية كونهن نساء، علينا فحص أقوال هؤلاء الكتاب، سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا، لمحاولة فهم ما حاول هؤلاء الكتاب عكسه عن النساء".[١] كذلك؛ دعت إليزابيث كلارك *Elizabeth Clark* الباحثين إلى الأخذ في الاعتبار منظور أن مصادرنا لا تقدم لنا نساء حقيقيات من الماضي، وإنما تخيلات كتاب ذكور أو توظيفات بلاغية لمقولات نساء، أو بعبارة أخرى؛ لا تقدم لنا أكثر من "صور" أدبية لـ "نساء حقيقيات".[٢]

وانطلاقاً من رؤية كراويس وكلارك لمنهجية التعامل مع نصوص الأدب الرهباني الباكر، وأهمية قراءته بمصطلحاته ومفاهيمه الخاصة به، تهدف الدراسة الراهنة إلى محاولة فهم ما سعى مؤلفو الأدب الرهباني الباكر إلى عكسه عن النساء بوصفهن مصدر الإغواء الجسدي وأداة شيطانية مثلت خطرًا يهدد حياة التنسك والرهبانية، والأهم من ذلك كيفية معالجة هؤلاء الكتاب لتناقض هذه الصورة السلبية مع نماذج نسائية حقيقية استطعن تقديم نموذجًا مثاليًا في الحياة الرهبانية بل وبلوغ مرتبة القداسة ذاتها.

ولعل أفضل نقطة يمكن البدء بها هي مقاربة أحد المفاهيم النسكية الأساسية التي أثرت بشكل أساسي على صورة المرأة في الأدب الرهباني المبكر، وأعني هنا مفهوم "الحرب المقدسة" مع الشيطان. فالمطالع لنصوص هذا الأدب يبلغ بسهولة مفهوم مؤداه أن عالم الصحراء في الفكر الرهباني لم يكن مجرد عالم ملائم لسكنى القديسين والنساك والرهبان، بل هو أيضًا ساحة حرب روحية حقيقية تصارع فيها "جند الرب" مع الشيطان وأعوانه من الأرواح النجسة، وفي هذه الحرب استخدم الأخيرون شتى أنواع الأسلحة والتكتيكات لإغواء الرهبان وجرهم إلى الخطيئة كمقدمة أساسية لتحقيق هدفهم الأسمى بانتزاع هؤلاء الرهبان من عالم الفضيلة والتكريس للمسيح وإعادتهم ثانية إلى العالم الدنيوي.[٣] وفي هذه الحرب، صور لنا الأدب الرهباني "الروح الشريرة للزنا"، أو كما أطلق عليها في أغلب الأحيان "شيطان الشهوة"، كأحد أهم الجنود الفاعلين في "جيش الشيطان" وأكثرهم خطرًا على الحياة الرهبانية.[٤]

وأقدم النماذج الباكرة التي صاغت مفهوم حرب الراهب مع "شيطان الشهوة" نصادفها في سيرة الأنبا أنطونيوس. فوفقًا لأثناسيوس لم يأت صراع الأنبا أنطونيوس– في شبابه– مع "شيطان الشهوة" إلا بعد سلسلة طويلة من

---

(1) Krawiec, R., *Shenoute and the Women of the White Monastery*, New York, 2002, p. 122.

(2) Clark, E.A., "The Lady Vanishes: Dilemmas of a Feminist Historian after the 'Linguistic Turn' ", *Church History* 67 (1998), pp. 1-31; Idem, "Women, Gender and the Study of Christian History", *Church History* 70 (2001), pp. 395-426.

(٣) عن مفهوم هذه الحرب، انظر:

Brakke, D., *Demons and the making of the Monk: Spiritual Combat in Early Christianity*, Cambridge, 2006; Vos, N., "Demons and the Devil in Ancient and Medieval Christianity: Introduction, Summary, Reflection", in: *Demons and the Devil in Ancient and Medieval Christianity*, ed. N. Vos & W. Otten, Leiden, Boston, 2011, pp. 3-36; Kuznetsova, A., " 'A Wall of Bronze' or Demons Versus Saints: Whose Victory?", in: *Christian Demonology and Popular Mythology*, ed. Pócs & G. Klaniczay, Budapest, New York, 2006, pp. 45-53.

وانظر وصف روفينوس للرهبان في صحاري مصر بوصفهم "جيش سماوي، مستعدون للمعركة ...، محاربون بأسلحة الصلاة، يحميهم درع الإيمان من العدو الشرير، رابحون ملكوت السماء لأنفسهم ... فهم يقاتلون بكل جسارة في المعركة لاقتناء جميع الفضائل". روفينوس الأكويلّي، هستوريا موناخورُم "تاريخ الرهبان"، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة الأب بولا ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ١٩٥.

(4) Brakke, *Demons*, pp. 182-183; Banks, S.R., *Blazing Walls, Blazing Brothers: Monks and the Making of the Demon in the Pachomian Koinonia*, Ph. D., The Catholic University of America, Washington, D.C., 2011, pp. 147-150.

الإغواءات – أو بالأحرى "المحن"– حاول من خلالها الشيطان جره إلى الخطيئة ومن ثم إبعاده عن "عالم الرب". فقد بدأ الشيطان حربه مع أنطونيوس بأسلحة "الفكر"[١]، وعندما فشل تحول إلى مهاجمة الجسد بتوظيف "شيطان الشهوة"، الذي تجسد له في البداية في هيئة امرأة جميلة، وعندما فشل في جره إلى الخطيئة ظهر له كصبي أسود.[٢]

وبقدر تنوع أسلحة الشيطان في حربه ضد أنطونيوس ما بين أسلحة "الفكر" وأسلحة "الجسد"، كان على الأخير – كما يصف لنا أثناسيوس– أن يستخدم أساليب مقاومة "فكرية" و "بدنية": ففي الوقت الذي واجه "تشتت الفكر" و "أفكار الفحش" بالصلاة الدائمة، استجاب لـ "دغدغة" الجسد بـ "الإيمان والصوم"، وحارب الصور الذهنية الخادعة باقتباس آيات من الكتاب المقدس. ومثل هذه الوسائل – كما يروي أثناسيوس– أثبتت فاعليتها بالقدر الذي جعل أنطونيوس نفسه يدرجها كتكتيكات على الراهب انتهاجها في صراعه مع الشيطان: فعلى الراهب الصوم لإضعاف رغبته الجسدية، ومواجهة الأفكار الشيطانية بأفكار أكثر نقاءً، وتوظيف الصلوات القصيرة وآيات الكتاب المقدس لطرد الشياطين. لقد راح أنطونيوس يشجع الرهبان على الانخراط في العمل النسكي والابتعاد عن الصراع مع الشياطين، ونصحهم بشكل متكرر بعدم "خسارة القلب" وعدم "التهاون"، كما راح يذكرهم بأن حرب "الأفكار" تبدأ بتذكير الراهب بحياته الدنيوية، كالأملاك التى هجرها أو بتذكر نشوة الجسد، ومن ثم أكد على أن مهمة التنسك تكمن في الحفاظ على النفس كما خُلقت دون إفساد أو تشويه، فالراهب لا يحتاج شيئا من "الخارج" لتجنب مثل هذه الأفكار، بل في استطاعته الاحتفاظ بحالته الطبيعية لكون المهمة تكمن في "الداخل".[٣]

ويمكن القول بأن حرب أنطونيوس مع الشيطان أثرت تأثيرًا ملحوظًا على الأدب الرهباني اللاحق في تصوره لاستراتيجية حرب شيطان الشهوة. ففي هذا الأدب غالباً ما يبدأ الشيطان هجومه بـ "الأفكار"، ثم يتحول إلى "الجسد"، ثم يتبدى في هيئة مرئية كنوع من الملاذ الأخير.[٤] ولنبدأ بقصة –تظهر لنا مدى هذا التأثير الأنطوني–

---

(١) وهي الأسلحة التي صنفها أنطونيوس نفسه في جبن الروح وتشوش الذهن ووهن العزيمة وكراهية الإخوة وفتور الهمة والحزن وتذكر الأقارب وخشية الموت.

Athanasius, *Vita Antoni*, in: Athanasius, *Selected Works and Letters* [*Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church*, Vol. 4], trans. P. Schaff & H.Wace, pp. 181-221, esp. 197.

(2) Athanasius, *Vita Antoni*, p. 197.

فسر أثناسيوس نفسه ظهور الشيطان لأنطونيوس في هيئة صبي أسود بأن اتخذ بذلك "هيئته المرئية" وأن اللون الأسود رمز "للون عقله". ويذكر براكي أن ظهور الشيطان بهذه الهيئة في سيرة أنطونيوس (المكتوبة حوالى ٣٥٧م) يعد الأول من نوعه في الأدب الرهباني المتاح، وأن أثناسيوس قدم هيئة الشيطان الأنثوية بوصفها هيئة خادعة ليست كاشفة عن طبيعة الشيطان، أما الصبي الأسود فهو تجسيد للطبيعة الحقيقية والأكثر قوة للشيطان.

Brakke, D., "Ethiopian Demons: Male Sexuality, the Black-Skinned Other, and the Monastic Self", *Journal of the History of Sexuality* 103/4 (2001), pp.501-535. .

كذلك؛ يرى براكي أن ثمة صلة بين صبغ اللون الأسود على شيطان الشهوة والاعتقاد النمطى في قوة الزنوج الجنسية.

Brakke, *Demons*, pp. 160-161.

(3) pp.197-198. Athanasius, *Vita Antoni*,

(٤) تذكر مجموعة "أقوال الآباء" مقولة الأنبا بافنوتيوس Abba Paphnutius "إن الراهب يجاهد لحفظ طهارة الجسد، وكي تتحرر نفسه من الأفكار الدنسة، وإذا لم يسرع بطرد هذه الأفكار، ستوقع الجسد في الخطيئة. والطريقة التي تعمل بها الأفكار هي كالآتي: تثير شهوات الجسد الذي تتحكم فيه، مما يحرك الجسد نحو الرغبات الفاسدة، ثم يسقط فعلا، مثل ربان سفينة حلت عليه عاصفة فأغرقت مركبه".

رواها لنا بالاديوس Palladius، مؤلف "التاريخ اللاوسي" *Historia Lausiaca*، الذي تعرض هو نفسه خلال فترة تجوله بين نساك صحاري مصر (حوالى ٣٨٨-٣٩٩م) لمقاساة هذا النوع من الحرب، وكما جاء على لسانه "لقد طغى عليَّ فكر محبة النساء، في أفكاري وفي أحلامي، وكنت على وشك ترك الصحراء، مطرودًا من هذا الوجع".(١) وعندما يأس لجأ إلى باخون Pachon في صحراء الإسقيط Scetis، فقال الأخير له: "لا تدع هذا الأمر يزعجك لأنك لا تقاسي ذلك بسبب التهاون، فالمكان يشهد لصالحك لأمرين: نقص الضروريات، وعدم وجود فرصة لمقابلة النساء. فالحرب ضد الشيطان ثلاثة: فمرة يهاجمنا الجسد بشهواته، ومرة أخرى تهاجمنا الأوجاع بالفكر، ومرة ثالثة يهاجمنا الشيطان بخبثه". وعند هذه النقطة راح باخون يروي لبلاديوس قصة صراعه الطويل مع شيطان الشهوة، على مدى اثنتي عشرة سنة، وكيف أن الشيطان بدأ بـ "الأفكار"(٢) ثم بوجع "الجسد"(٣) وأخيراً بتجسده في هيئة "جارية سوداء كنت قد رأيتها ذات مرة في شبابي وهي تجمع حطبًا".(٤)

والقارئ لمثل هذه القصة قد يلحظ بسهولة أنها تحمل رسالة تحذيرية من خطر المرأة على الحياة الرهبانية، فبالاديوس- من خلال باخون- أراد أن يحذر الراهب من أن مجرد التفكير في المرأة قد يدمر حياته الروحية ويدفعه إلى مغادرة الصحراء، وإن ألمح إلى أن "الأفكار" في حد ذاتها يمكن التغلب عليها طالما ظلت "لا توجد فرصة لمقابلة النساء" في الصحراء. وهذه الرسالة التحذيرية تصير أكثر وضوحًا ومباشرة في مقاربة إيفاجريوس البونطي Evagrius of Pontus، صديق بالاديوس، الذي تعرض هو الآخر "لحرب الشهوة بصورة امرأة"(٥)، ورغم محاولته المقاومة، إلا إنه لم تكن لديه القدرة "إذ كان مقيدًا بسلاسل العبودية".(٦) وبعد أن ظل يقاسي سنوات طويلة لجأ إلى حياة الرهبانية في صحراء مصر لأربع عشرة سنة (حوالي ٣٩٩م أو ٤٠٠م)، راح يدون خلالها خلاصة خبرته من هذه التجربة.(٧)

The Sayings of the Holy Fathers: The Systematic Collection, in: *The Paradise of the Holy Fathers*, vol. 2, trans. E.A.W. Budge, London, 1907, p. 86.

وانظر الترجمة العربية: "أقوال الآباء وتأملاتهم الروحية"، ضمن كتاب بستان القديسين، ترجمة ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٠١.

(١) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة الأب: بولا ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٤٠٣.

(٢) كما يروي باخون نفسه: "لم يعطني الشيطان مهلة في هجومه علىَ نهارٍ وليلاً، حتى ظننت أن الله قد هجرني". بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٠٤.

(٣) "فضلت أن أموت عن أن أسلك سلوكا غير ملائم بسبب وجع جسدى، فخرجت وهِمتُ في الصحراء.... حتى إذا ما خرجت الوحوش تلتهمني". بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٠٤.

(٤) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٥) وفقا لبلاديوس هي امرأة متزوجة تنتمي إلى الطبقة العليا سيطر عليها حب إفاجريوس لدرجة الجنون. بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٤٠.

(٦) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٤٠.

(٧) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٤٠-٤٤٢، ٤٤٤ هامش ٣٦٨م.

لقد أكد إفاجريوس على أن هجمات الشيطان على "الجسد" يأتى عقب هجومه عبر "الأفكار"، ولذلك راح يشدد على ضرورة ألا يتعرض الوافدون الجدد على الحياة الديرية لمؤثرات الرؤيا أو الحس، حتى لا تزعجهم حرب الشيطان فيعودوا إلى "العالم الدنيوي".(١) وهنا نلاحظ أن إيفاجريوس رغم تأثره بأنطونيوس في تسلسل هجوم الشيطان على الراهب بـ "الفكر" ثم "الجسد"، إلا إنه عكس تطورا آخر ميز الأدب الرهبانى اللاحق على أنطونيوس، وهو أن سلاح هجوم الشيطان على الجسد لم يعد قاصراً فقط على الصور الذهنية الخادعة التي يتجسد فيها "شيطان الشهوة"، بل امتد أيضا إلى توظيف نساء حقيقيات من "العالم الدنيوي". أو بعبارة أخرى لم يعد "الداخل" و"الخارج" قاصرًا فقط على رؤية أنطونيوس في كون نجاح الراهب في حربه يكمن في داخله "نفسه" دون الحاجة إلى خارجه "الجماعة الديرية"، بل تطور المفهوم ليصير "الداخل" هو الجماعة الديرية ذاتها، بينما "الخارج" هو "العالم الدنيوي".

إن حرب "الجسد" كما تخيلها إيفاجريوس كانت أكثر من مجرد مواجهة مع شيطان مكرس الشهوة، بل هي –كما عرفها إيفاجريوس نفسه– "الحرب التي يقاسي فيها المرء لوعة الرغبة في تنويعة من الأجساد"(٢)، إلا إنه على العكس من أنطونيوس– الذي قدم المرأة والفتى الأسود كأداة للإثارة الجسدية– قدم النساء– والنساء فقط– كأداة وحيدة للشيطان، أداة لا يستخدمها فقط كصور ذهنية أو تجسيدات مرئية في اليقظة أو الأحلام لغزو "عقل" الراهب ليربكه ويعوقه عن التفكير(٣)، بل لحث الراهب على الانتقال من "الداخل" لـ "الخارج" بالذهاب إلى الأسواق أو الأماكن المزدحمة أو حتى إلى الاحتفالات الدينية الحاشدة، حيث يمكنه رؤية نساء حقيقيات.(٤) وهنا يبدأ عمل المرأة كسلاح لشيطان الشهوة: "إن النساء في البداية يتحدثن مع الراهب باحتشام وخجل، لكنهن سرعان ما يرجفن أجفانهن، يعرين أعناقهن، حتى ينتهين بكامل الجسد" .. وكل ذلك "شرك يشدك إلى الموت وشباك معقدة تسحبك إلى الدمار".(٥)

---

(١) ميَّز إفاجريوس بين نوعين من الزنا، متلازمان وإن كانا مختلفين، زنا الجسد وزنا الروح، وفسر الأخيرة بأن الشيطان يتخذ هيئة أنثوية لإفساد الروح وجرها إلى الوقوع في الخطيئة بمعاشرة هذه الصورة الزهنية.

Evagrius, "To Eulogios. On the Confession of Thoughts and Counsel in their Regard", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.12-59, esp. pp. 45, 48-49.

وشأن أنطونيوس، قرن إفاجريوس– وإن كان بصورة متكررة– بين شهوتي البطن والفرج، وعول كثيرا على الإفراط في تناول الطعام والشهوة الجسدية، ولذلك راح يشدد في نصائحة للرهبان بضرور الإكثار من الصوم والاقتصاد في تناول الطعام.

Evagrius, "Eulogios", 45; Idem, "To Monks in Monasteries and Communities and Exhortation to a Virgin", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.115-135, esp. p. 129.

(2) Evagrius, "Prakitkos. The Monk: A Treatise on the Practical Life", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp. 91-114, esp. p. 98.

(3) Evagrius, "On the Vices Opposed to the Virtues", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp. 60-65, esp. pp. 62-63.

لم يشر إفاجريوس إلى اتخاذ أية هيئة بشرية باستثناء الهيئة الأنثوية. Evagrius, "Eulogios", p. 45

(4) Evagrius, "On the Eight Thoughts", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp. 66-90, esp. p. 76.

(5) Evagrius, "Eight Thoughts", pp. 76-77.

ويستطيع المرء بسهولة ملاحظة نقاط التشابه الواضحة بين بالاديوس وإفاجريوس، فكل منهما أراد أن يقدم لرهبانه رسالة تحذيرية من خطر المرأة على الحياة الرهبانية. وفي الوقت الذي حملت هذه الرسالة تأكيدًا على التمييز بين عالمي الجماعة الديرية في الصحراء "الداخل" والعالم "الخارج"، فقد هدفت أيضًا إلى تحقيق الفصل الكامل بين هذين العالمين. وإذا كان بالاديوس– في قصته عن ماخون– قد شدد على أن مجرد تذكر الراهب لـ "للمرأة" أمر يمكن علاجه طالما ظل قابعًا في الصحراء حيثما "لا توجد فرصة لمقابلة النساء"، فقد راح إيفاجريوس يشرح هذا المفهوم بقوله إن "الصحراء تتيح الفرار من لهيب النيران دون أذى؛ لأن الشخص العفيف الذي ينأى بنفسه عن عالم النساء لن يحترق بشهوة الجسد، حتى وإن تذكر النار، فمجرد التذكر لا يحرق العقل أو الفكر، والرغبة لن تقوى طالما ظل موطن الداء غير حاضر".[١] أما في "العالم"، حيث النساء، فإن "رؤية المرأة سهم مسموم يصيب الروح ويثير الغريزة"[٢].

وفي هذا السياق يمكن اقتباس مقولة بيتر براون بأن مثل هذه القصص والأقاويل المنتشرة في الأدب الرهباني كانت تهدف في المقام الأول إلى "تكريس حد فاصل بين الصحراء والعالم في ثقافة ميزت بين العالم الدنيوي وجماعات تنسكية شعارها سمو التبتل بوصفه نمط الحياة المسيحي المثالي"، وأن "الخوف من النساء كان بمثابة عامل فصل أساسي أبقى "العالم" و"الصحراء" على مسافة آمنة كل من الآخر".[٣] ورغم وجاهة مقولة براون الأخيرة، إلا إن التماثل الواضح في رسالة كل من بالاديوس وإيفاجريوس أمرا يشي بأن ثمة قلق ساد الدوائر الديرية أواخر القرن الرابع الميلادي من خطر المرأة على عالم النساك والرهبان في الصحراء. وهذا في حد ذاته قد يثير بعض التساؤلات: إلى أي مدى كان هذا القلق حقيقيًا؟ وما هي المبررات التي سوغته؟ أو بعبارة أخرى هل نجح "الخوف من النساء" عمليا – كما يتجه براون– كعامل فصل أساسي بين "العالم" والصحراء"؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، يمكن البدء بقصة يرويها لنا بالاديوس عن القديس أرسانيوس– المترهبن في كانوب قرب الإسكندرية– الذي رفض مقابلة ميلانيا النبيلة– التي ارتحلت من روما خصيصا لرؤيته– رغم توسط البطريرك ثيوفيلوس لديه كي يلبي رجائها. ومع إصرار القديس فاجأته ميلانيا بينما كان خارج قلايته، ورجته أن يصلي من أجلها، فأجابها: "إنى أصلي كي يمحو الرب ذكراك من قلبي". وكان ذلك سببًا في حزنها ومرضها، فزارها ثيوفيلوس، وعندما سألته عن سبب صد القديس لها، أجابها ثيوفيلوس: "ما قال القديس هذا إلا لأنك امرأة، ولأن العدو يحارب القديسين بالنساء".[٤]

من الملاحظ هنا أن إفاجريوس جعل شيطان الشهوة أكثر أعوان الشيطان خطورة، إذ يقول: "بالملاحظة ستكتشف شيطانين يتسمان على وجه الخصوص بالسرعة والقدرة على السيطرة على عقولنا؛ شيطان الشهوة والشيطان الذي يقودنا إلى التجديف ضد الرب. إلا إن الأخير قصير الحياة". Evagrius, "Praktikos", p. 106.

(1) Evagrius, "Eight Thoughts", p. 77.

(2) Evagrius, "Eight Thoughts", p. 76.

(3) Brown, *Body and Society*, pp. 242-244.

(4) *The Sayings* (SC), pp. 57-58. (أقوال الآباء، ص ٦٧-٦٨)؛
The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection, trans. B. Ward, Kalamazoo, Oxford, 1975, p. 14.

ويكتظ الأدب الرهبانى بنصائح كثيرة ومتكررة تحذر الرهبان من الاتصال بنساء عالم "الخارج"، منها– على سبيل المثال– ما نقله بلاديوس في "أقوال الآباء"[١] *Apophthegmata Patrum*: "لا تتعامل في الأمور الخاصة بأبناء العلمانيين، ولا تتحدث مع النساء"[٢]؛ و"لا تأكل من طبق واحد مع امرأة، وبذلك يمكنك الهرب من شيطان الزنا"[٣]؛ و"من يتكلم مع امرأة يزني بها على الفور في قلبه"[٤]؛ و"لا تسمح لامرأة أن تقترب من قلايتك"[٥]؛ و"لا تنام في مكان به امرأة"[٦]. وأخيرًا ثمة قصص أخرى تشي بـ "الخوف من النساء" والقلق من خطرهن على عالم الرهبان والنساك في الصحراء. فعندما قال أحد الرهبان الطاعنين في السن (أنبا إبراهيم) لشيخه الأنبا سيصوي: "يا أبتاه لقد طعنت في السن، فدعنا نقترب قليلا من سكنى أبناء العالم، قال له الشيخ: "دعنا لا نذهب إلى حيث توجد النساء"، فقال له الراهب: "وما هو المكان الذي يخلو من النساء سوى الصحراء"، فقال له الشيخ "إذن هيا بنا إلى الصحراء".[٧] وفي كتاب "تاريخ الرهبان" *Historia Monachorum* لمؤلفه المجهول، راح الأنبا يوحنا الليكوبولي ينصح تلاميذه قائلا: "يا أولادي ليس من صالحنا أن نسكن بكهوف قرب المناطق المأهولة، أو نتصل بالنساء، لأن مقابلة هذا النوع يعطي الفرصة لذكريات يصعب محوها".[٨]

وهناك قصص أخرى لرفض نساك مقابلة النساء، منها ما رُوي عن يوحنا، المترهبن في دير صحراوي على منحدر جبل بالقرب من ليكيا Lycia (أسيوط حالياً)، الذي رفض رجاء نبيل بإحضار زوجته المريضة إليه قائلا: "ليس لرجل الرب استقبال النساء". روفينوس، تاريخ الرهبان، ص٢٠٠؛ St. Jerome, *Histories of Monks*, p. 320.

(١) الأبوفثجماتا باترووم: كلمة مركبة من كلمتين: أبوفثجماتا ἀποφθέγματα اليونانية وتعنى "أقوال مأثورة" وباتروم *Patrum* اللاتينية وتعنى "آباء"، وبالتالي فهي تعني "أقوال الآباء". وتُعد الوثيقة الأولى لسائر الأدب الرهباني، وقد جُمعت أولا شفهيا ثم دُونت. وهناك مجموعتان لهذه الأقوال: ١. المجموعة الألفبائية Alphabetical collection والمرتبة وفقا لأسم الراهب أو الناسك مع تسلسل رقمي لأقوال كل شخصية؛ ٢.المجموعة المرتبة وفق الموضوع Systematic collection، وهي على هيئة فصول مع تسلسل رقمي للأقوال من بدايتها إلى نهايتها. وقد اعتمد البحث على كلا المجموعتين، وللتمييز بينهما سيرد مختصر المجموعة الألفبائية على مدار البحث بصيغة: *The Sayings* (AC)، بينما المجموعة الموضوعية بالصيغة *The Sayings* (SC)، علما بأن الترجمة العربية المستخدمة عبر البحث هي الخاصة بالمجموعة الأخيرة.

(2) *The Sayings* (SC), p. 63. (أقوال الآباء، ص٧٤).

(3) *The Sayings* (SC), p. 128. (أقوال الآباء، ص١٥٢)؛ *The Sayings* (AC), p. 51.

(4) *The Sayings* (SC), p. 132. (أقوال الآباء، ص١٣٢).

(5) *The Sayings* (AC), p. 225.

(6) *The Sayings* (AC), p. 76.

(7) *The Sayings* (SC), p. 84. (أقوال الآباء، ص٩٨)؛ *The Sayings* (AC), p. 213.

(8) St. Jerome (St. Hieronymus), *The Histories of the Monks who lived in the Desert of Egypt*, in: *The Paradise of the Holy Fathers*, vol. 2, trans. E.A.W. Budge, London, 1907, p. 327.

وأنظر أيضا: كتاب هيستوريا موناخورُم "تاريخ الرهبان في مصر (الرهبان السبعة)"، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة الأب: بولا ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٣م، ص ٩١.

وفي بعض الأحيان؛ يعكس لنا الأدب الرهباني مواقف أكثر إفراطاً في "الخوف" من المرأة، بلغت أحيانا حد تحذير الرهبان من رؤيتها في الأحلام وتحميلهم مسئولية ذلك.(١) أو اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر تجاه كل ما هو أنثوي. فالأنبا آمون، بينما كان في مهمة دعته إلى عبور النهر، رفض ركوب مركب كان به عدد من النساء، وعندما سأله الرهبان عن ذلك، أجاب: "حتى لا تثور الأفكار الشريرة في نفسي".(٢) وقيل أن الأنبا إسحق خرج فرأى آثار أقدام امرأة على الطريق، فأخفى معالمها قائلا: "لو رآها أحد الإخوة، قد يسقط بسببها".(٣) وثمة قصة قصة تشي بأن الحذر والخوف من المرأة امتد إلى الخوف من أنثوية الأم البيولوجية ذاتها، وهي قصة ارتحال أحد الرهبان مع أمه العجوز "ولما أتيا إلى نهر، لم تستطع السيدة أن تعبره، فأخذ شالاً وربطه حول يديه كي لا يلمس جسدها، وحملها وعبر النهر"، وعندما سألته الأم عن سبب ذلك، أجاب: "إن جسد المرأة نار، ومن خلال جسدك قد تتولد ذكرى امرأة أخرى".(٤) ويبلغ هذا الحذر ذروته في إحدى القصص ليشمل النساك والرهبان المتمتعين بدرجة من من الحسن، ذلك عندما رفض الأنبا بَفنوتيوس Paphnutius إقامة الأنبا يوديمون Eudemon – وقتما كان شابا تبدو عليه علامات الحسن– في صحراء الأسقيط، قائلاً: "لن أسمح لوجه امرأة أن يقيم في الأسقيط، فيثير حرب الشيطان ضد المقدسين".(٥)

كذلك؛ مما يدعم وجود هذا القلق والخوف، أن بعض كتاب الأدب الرهباني خصصوا فصولا بأكملها تحت عنوان "عن الزنا" On Fornication (*porneia*)، ناقشوا فيها مفهوم حرب شيطان الشهوة والسبل المثلى لمقاومته والتغلب عليه.(٦) وفي هذه الفصول وغيرها من نصوص الأدب الرهباني نصادف قصصًا كثيرة لآباء قديسين

---

(١) يذكر روفينوس أن الأنبا ديسقوروس كان يحذر الرهبان "حتى من الأشياء التي يتعرضون لها أثناء النوم، إما بسبب خيالات النساء، وإما بسبب الفيض الطبيعي للسائل الجسدي. وقال: إذا حدثت مثل هذه الأشياء دون أن يصاحبها خيالات النساء، فليست خطية، بل هو فيض طبيعي. ولكن متى كان مصحوبا بخيالات النساء وملذات الجسد، فهذا علامة أكيدة على أن هناك رغبة في نفوسهم على التمتع بهذه الأفكار الدنسة". روفينوس، تاريخ الرهبان"، ص٢٧٧. كذلك؛ جاء في "تواريخ الرهبان" للقديس جيروم، وفي "أقوال الآباء" أن ذات الأنبا كان يحذر الراهب قبل تقدمه لطقس التناول: "تذكر جيدًا إن كنت قد سقطت في فخ شيطاني، بحلم شهواني أثناء الليل، فتدنس المسيح". *The Sayings* (SC), p. 227. (أقوال الآباء، ص٢٦٤)؛ St. Jerome, *Histories of Monks,* pp. 363-364

(2) *The Sayings* (SC), pp. 234-235. (أقوال الآباء، ص٢٧١).

(3) *The Sayings* (SC), p. 129. (أقوال الآباء، ص١٥٣-١٥٤).

(4) *The Sayings* (SC), p. 88. (أقوال الآباء، ص١٠٣).

(5) *The Sayings* (SC), p. 219. (أقوال الآباء، ص ٢٥٦.. والترجمة هنا خاطئة تمامًا بسبب تدخل المترجم، حيث جاءت كالتالي: "لم يسمح لى بالإقامة هناك، بسبب شدة حرب العدو"). كذلك من الملاحظ أن هذه المجموعة ذكرت الأنبا آمون بدلا من يوديمون. *The Sayings* (AC), p. 64.

(٦) ثمة فصول عديدة حملت هذا العنوان في أعمال إيفاجريوس، انظر:

Evagrius, "Eulogios", ch.18. pp.45-46; ch.21. pp. 48-49; "Vices", ch. 2. pp. 62-63; "Eight Thoughts", ch. 2. pp. 76-78; "Praktikos", ch. 2. p. 98; "On Thoughts", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp. 136-182, esp. ch.16. pp. 163-164.

كما خصصت مجموعة "أقوال الآباء" فصلا مطولا حمل ذات العنوان أُلحق به ما سُمي "نصائح ممتازة لأحد الآباء الطاعنين في السن بشأن الزنا، انظر:

The Sayings (SC), ch.11. pp. 126-136.

(أقوال الآباء، ص١٥٠-١٦٣). هذا فضلا عن ورود الحديث عن الشهوة في سياق الحديث عن أمور أخرى كثيرة.

خاضوا لسنوات طوال مثل هذه الحرب القاسية، فالأنبا موسي الأسود وجد صعوبة بالغة في احتمالها.[١] والأنبا آمون "عندما ثارت فيه الشهوة لم يرحم جسده، فحمى قطعة حديد بالنار ووضعها على أعضائه حتى تقيحت".[٢] أما أما باخون –المذكورة قصته قبلا– فقد كاد يسقط في الخطيئة بعد معركته القاسية مع شيطان الشهوة، وانتهى بوضع أفعى على أعضائه لتلدغه.[٣] وإيفاجريوس ذاته – كما أشرنا قبلا– دفعته معاناته الشديدة والطويلة خلال هذه الحرب إلى إمضاء الشتاء عاريا في بئر "حتى تجمد لحمه".[٤] وإذا كان هؤلاء الآباء وغيرهم – كما عكس الأدب الرهباني– قد وجدوا صعوبة بالغة في التغلب على شيطان الشهوة رغم ما حققوه من نموذج مثالي في حياة النسك، فإن ثمة قصص تحذيرية أخرى تشير إلى بعض الرهبان والنسك ممن سقطوا في الخطيئة فعلا. إذ ورد في كتاب "تاريخ الرهبان" لمؤلفه المجهول قصة راهب عاش في مغارة بالصحراء وبلغ درجة عالية من حياة النسك والفضائل، إلا إن الشيطان أغواه في صور امرأة جميلة تائهة في الصحراء، وكان نتيجة سقوطه أن "يئس من خلاصه" وعاد إلى "العالم".[٥] ويزخر الأدب الرهباني بكثير من النماذج لنساك ورهبان سيطرت عليهم ذكرياتهم السابقة وولدت لديهم "شهوة حسية قوية" وجرفتهم "بأفكار شريرة نحو العالم".[٦]

---

(1) *The Sayings* (SC), pp. 126-127. (أقوال الآباء، ص١٥١)؛ بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص٣٨٩-٣٩٠.

(٢) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٦٤.

(٣) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٠٥.

(٤) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٤٣.

(٥) "وإذ وجدت الباب مفتوحا انسلت داخله إلى المغارة، وألقت بنفسها على ركبتي الرجل وتوسلت إليه أن يأويها؛ ولأن الظلمة قد أدركتها، أدركتها، فقد أشفق عليها... فقبلها ضيفة في مغارته. وأكثر من ذلك، سألها عن رحلتها، فأخبرته كيف ضلت طريقها، وبذرت فيه كلمات الإطراء والغواية، واستمرت في الحديث معه لبعض الوقت، وجذبته على نحو ما برفق إلى السقوط في حبها، ثم صار الكلام أكثر تحررًا، وتحول إلى ضحك ومرح صاخب... وبمثل هذا الكلام الكثير أضلته، ثم بدأت تلمس يده ولحيته ورقبته. وأخيرا جعلت الناسك أسيراً لها. وأُثير ذهنه بأفكار شريرة... وفي النهاية أراد أن يخطئ بها". St. Jerome, *Histories of Monks*, pp. 326-327؛ هيستوريا موناخورُم (الرهبان السبعة)، ص ٩٠. ويستطيع القارئ بسهولة أن يلحظ مدى التطابق بين هذه القصة وما ذُكر قبلا من نصائح وتحذيرات إيفاجريوس من المرأة.

(٦) يسجل كل من القديس جيروم وكتاب "تاريخ الرهبان (الرهبان السبعة)" قصة ناسك ظل لسنوات طويلة يقدم نموذجا عاليا في التعبد وحياة النسك، إلى أن هاجمه الشيطان بوحشية "في حين امتلأت الذاكرة بصور امرأة شبه حاضرة معه"، وبسيطرة هذه الأفكار عليه اندفع نحو العالم .St. Jerome, *Histories of Monks*, p. 331 ؛ هيستوريا موناخورُم (الرهبان السبعة)، ص٩٥-٩٦. ويروي لنا روفينوس قصة مماثلة عن ناسك "مملوء من كل الفضائل يعيش في مغارة، أضلّه الشيطان بشكل امرأة، فصار منزعجا جدا لدرجة أنه عاد إلى العالم وتجنب شركة القديسين، ولم يكن هناك شخص استطاع إسداءه مشورة مفيدة قد ترده عن مثل هذه الكارثة". روفينوس، تاريخ الرهبان، ص٢٠٨. وتكتظ "أقوال الآباء" بقصص رهبان دفعتهم معاناة حرب الشهوة إلى التفكير في العالم أو العودة إليه فعلا، منها قصة رجل اصطحب ابنه طفلا إلى دير وادى النطرون، ولما كبر الطفل وصار شابا بدأت حرب الشهوة تهاجمه لدرجه أنه قرر العودة إلى العالم الدنيوى، ورغم محاولات أبيه المتكررة لمساعدته على الصمود، إلا إن الشاب لم يقوى، فنصحه الأب بالذهاب إلى الصحراء أربعين يومًا، وفيها إذا بشيطان الشهوة يقترب منه في هيئة فتاة سوداء، ذات رائحة كريهة لم يستطع احتمالها، فطردها، فقالت له: "إن لى رائحة جميلة في قلوب الناس، إلا إن طاعتك وعملك جعلت الرب يكشف لك عن رائحتي الحقيقية". *The Sayings* (SC), pp. 130-131. (أقوال الآباء، ص١٥٦) وعن أحد آباء الصحراء أغواه الشيطان بالعودة إلى زوجته و"العالم". *The Sayings* (SC), p. 158 (أقوال الآباء، ص١٨٩). وعن قصة تلميذ أحد الآباء دفعته حرب شيطان الشهوة إلى العودة إلى العالم

ولعل معاناة مثل هؤلاء الأباء – وسقوط بعضهم– في حربهم مع شيطان الشهوة، رغم أن معاناتهم اقتصرت على "الأفكار" والتخيلات الذهنية فقط لأنهم لم يغادروا "الصحراء"، أمرًا يحمل رسالة تحذيرية من أن سقوط الرهبان – خاصة الشبان ممن لم يبلغوا بعد مرحلة متقدمة في الحياة الرهبانية– في الخطيئة أمرًا ممكنًا، خاصة إذا توافر وجود امرأة حقيقية.(١) ويبدو أن ظهور حالات كهذه كان مسوغا إضافيًا وجيها للقلق والخوف من النساء، فالمطالع لقصص الأدب الرهباني يلاحظ أن كثيرًا من مواجهات الرهبان مع "شيطان الشهوة" ونسائه الحقيقيات، سواء نتج عنها معاشرة جسدية حقيقية أم لا، تحدث عندما يكون الراهب في مهمة داخل "العالم" أو جرته حيلة شيطانية للذهاب هناك، أو بعبارة أخرى– وبالمفاهيم الرهبانية– عندما يختلط العالمان، عالم الداخل "الصحراء" وعالم الخارج "العالم". الاختلاط الذي يفسد نقاء وصفاء من ينتمى إلى عالم "الداخل". وتكتظ "أقوال الآباء" بقصص عديدة لرهبان سقطوا – إما بممارسة الرذيلة أو بخلع عباءة الرهبانية والاتجاه إلى الزواج والحياة العلمانية– نتيجة هذا الاختلاط. أحد هؤلاء الرهبان– كما ورد في "الأقوال"– "كان مُنكرًا لذاته، شديد النُسك في عبادته، وذات مرة قرر أن يتوجه إلى المدينة ليبيع عمل يديه ويشتري احتياجاته... ولما دخل المدينة وتجول في شوارعها، إذا بامرأة نبيلة أغرته بمالها وجمالها، فخلع رداء الرهبنة وتزوجها".(٢) وثمة قصص أخرى لراهب سقط في الرذيلة أثناء ذهابه إلى السوق لبيع منتجاته هناك؛(٣) ولراهب سقط مع امرأة التقاها أثناء زيارته لإحدى القرى للقيام بعمل ما.(٤)

وتشير قصص الأدب الرهباني أيضًا إلى أن مثل هذا الاختلاط بين "الصحراء" و"العالم" لم يكن يحدث فقط بانتقال الراهب إلى "العالم"، بل كان يحدث أحيانًا باختراق النساء حدود عالم "الصحراء" ذاته. الأمر الذي يتعارض جزئيًا مع مقولة بيتر براون بأن "الخوف من النساء" أقام حدًّا فاصلا بين "الصحراء" و"العالم"، وهي المقولة التي وجدت صدى عند ريبيكا كراويس ودفعتها إلى القول: "لقد وفَّرت الصحراء في مصر مكانًا يستطيع الرجال فيه التحرر من المرأة والصراع مع عاطفة الجسد"(٥). ويبدو أن مثل هذا الرأى استند إلى بعض "أقوال آباء الصحراء" – كمقولتي باخون وسيصوي سالفتي الذكر– التي تخيلت "الصحراء" مكانا خاليًا من النساء.(٦) إلاَّ إن مثل هذه الأقوال وغيرها ربما تعبر عن رغبة رهبانية مثالية أو تصورًا لنموذج لم يكن مكتملاً على أرض الواقع. وإذا كان ديفيد براكي

والزواج، ومن شدة حزن معلمه عليه أن صلى من أجل موته قبل أن يفقد عفته، "فلما أغلقوا عليه مع عروسه في حجره نومه، أسلم الروح قبل أن يقترب منها". *The Sayings* (SC), p. 217. (أقوال الآباء، ص٢٥٤).

(١) في هذا السياق يرى إيفاجريوس أنه حتى الرهبان ذو الخبرة والتجربة يجدون صعوبة بالغة في مقاومة شيطان الشهوة، ولذلك راح يقدم عددا من عبارات الكتاب المقدس لمساعدة الرهبان الذين صاروا في خطر فقدان الأمل في امكانية تغلبهم على هذا الشيطان. والواقع أن سلسلة النصائح التي نصح بها والتجارب التى رواها تشي بأن معركة الراهب مع شيطان الشهوة شاقة وطويلة.
Evagrius, "Eight Thoughts", pp. 76-78.

(2) *The Sayings* (SC), pp. 89-90. (أقوال الآباء، ص١٠٥).

(3) *The Sayings* (SC), p. 89.
(أقوال الآباء، ص ١٠٤). وهناك راهب ثالث اعترف لأحد الآباء بارتكابه الخطيئة دون تحديد كيفية حدوث ذلك. *The Sayings* (SC), p. 90 (أقوال الآباء، ص١٠٦). وعن قصة راهب آخر أُتهم بالسقوط في الزنا وأُقتيد إلى الأنبا أنطونيوس، أنظر:
The Sayings (SC), p. 93. (أقوال الآباء، ص١٠٩).

(4) *The Sayings* (SC), p. 155. (أقوال الآباء، ص١٨٦).

(5) Krawiec, *Shenoute*, p. 123.

(٦) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٠٤؛ *The Sayings* (SC), p.84 (أقوال الآباء، ص٩٨)؛ *The Sayings* (AC), p. 213

ينتقد مقولة سيصوي عن الصحراء المصرية كمكان "حيثما لا توجد النساء" بوصفها تخالف حقيقة إشارة بعض نصوص الأدب الرهباني– على قلتها– إلى عدد محدود من الناسكات اللاتي أقمن في الصحراء، وراح يعلق عليها بقوله: "لقد امتلأت الصحراء بأفكار عن النساء، وذكريات الرهبان عن زوجاتهم وأمهاتهم، ومحاكاة الشيطان لصورهن، حتى وإن زعم الرهبان أنفسهم بأن النساء بلحمهن ودمهن كن غائبات"[١]–، إلا إن نموذج ناسكات الصحراء في حد ذاته – كما سيوضح البحث فيما بعد– لم يكن في العقلية الرهبانية أمرًا مناقضا للمفهوم الراسخ فيها والقائل بأن الصحراء، وعالم الرهبانية بأسره، مجال نفوذ ذكوري.

وبأية حال؛ تشي قصص الأدب الرهباني بأن اختراق المرأة للصحراء لم يكن قاصرًا على الناسكات، بل تجاوزه إلى ارتحال بعض نساء "العالم" إليها، إما لزيارة أقاربهن من النساك والرهبان الذكور أو طلبًا لمساعدة أو سعيًا وراء إرشاد وعلاج روحي. وأيًّا كانت الأسباب التي دعت المرأة العلمانية إلى الظهور في الصحراء –والتي ناقشتها سوسانّا إيلم Susanna Elm قبلاً–[٢]، فإن بعض هذه القصص يولد انطباعًا بأن ظهورهن في الصحراوات النائية كان أمرًا متكررًا. فالقديس بَفنوتيوس Paphnutius، الذي "عاش في أقصى الصحراء في منطقة هيراكليوس"،[٣] صادف امرأة جميلة "يبدو عليها الاحترام تجول في الصحراء" هربًا من مطاردة السلطات بسبب ديون أسرتها.[٤] وفي صحراء الأسقيط اقتفت أرملة أثر مجموعة من الرهبان رغبة منها في مقابلة الأنبا مكاريوس لإنقاذها وأولادها من مصير العبودية الذي يتهددهم بعد وفاة زوجها دون الوفاء بمال استدانه من أحد الأشخاص.[٥] وثمة أم اشتاقت اشتاقت إلى رؤية أولادها الرهبان فاتجهت إلى قلاياتهم بعد أن انتظرت طويلا على طريق خروجهم الكنيسة.[٦]

وإذا كانت النماذج السابقة تقدم نساء ظهرن في الصحراء لاحتياجات معينة – غالبًا ما عمل الآباء والرهبان على تلبيتها–، إلا إن الجانب الأكبر من قصص الأدب الرهباني غالبًا ما تصور هذا الظهور مقترنا بحيلة شيطانية لجر النساك والرهبان إلى إقامة علاقات مشينة معهن كمقدمة لهدف الشيطان الأسمى بحث هؤلاء إلى مغادرة "الصحراء" إلى "العالم".[٧] فثمة قصة لراهب "في الصحراء، كانت إحدى قريباته قد اهتدت إلى مكان إقامته، وبفعل الشيطان لحقت بقافلة من الجمال، إلى أن وصلت إلى قلاية القديس، ومكثت معه". وبعد أن أُفتضح أمر سقوطه معها لأحد الرهبان– عن طريق الشياطين التي راحت تصيح وهي فرحة "لقد أسقطنا الراهب في الخطيئة"– قرر أن

---

(1) Brakke, "The Lady Appears", p. 387.

(2) Elm, S., *'Virgins of Gods": The Making of Asceticism in Late Antiquity*, Oxford, 1994, pp. 271-272.

(٣) هيراكليوس ماجنا هي أهناسيا المدينة بالقرب من الفيوم.

(٤) روفينوس، تاريخ الرهبان، ص ٢٦٥؛ St. Jerome, *Histories of Monks*, p. 359.

(5) *The Sayings* (SC), p. 141. (أقوال الآباء، ص١٧٠).

(6) *The Sayings* (SC), p. 151. (أقوال الآباء، ص١٨١)؛ *The Sayings* (AC), pp.177-178.

(٧) يزخر الأدب الرهباني بقصص عديدة عن حيل الشيطان لإرسال نساء من العالم إلى الصحراء لغواية الرهبان. فوفقا لـ "أقوال الآباء" أراد الأنباء مكاريوس أن يعطي درسا للرهبان عن حيل الشيطان، فقص لهم قصة شاب به روح نجسة جاء إلى الصحراء مع أمه، وتركها هناك لمحاربة الرهبان. *The Sayings* (SC), pp. 166-167. (أقوال الآباء، ص١٩٩–٢٠٠).

يمضي إلى العالم.[١] وهناك قصة لناسك أخر "عاش في الصحراء حياة نسكية صارمة، وكان مشهورًا بين الآباء بأنه كان يُخرج الشياطين ويشفي المرضى. وذات مرة أثار الشيطان حرب الشهوة ضده...، فسقط مع امرأة اعتادت أن تأتي إليه طلبًا للمساعدة. وبعد سقوطه، يأس من خلاصه، وقرر الرجوع إلى العالم".[٢]

وإذا كانت أحداث القصص السابقة تنتهي غالبًا – إن لم يكن دومًا– بتوبة الناسك أو الراهب الخاطئ، ومن ثم عودته إلى طهارة ونقاوة حياته الأولى قبل السقوط في الرذيلة، فإن لا محدودية إتاحة هذه التوبة – وإن مثّلت جزءًا أساسيًا من المعتقد المسيحي والمفاهيم الرهبانية– تشي برغبة ديرية حقيقية في ألاَّ يقف هذا السقوط عائقًا أمام استمرار حياة النسك والرهبانية في "الصحراء". لقد حرص الأدب الرهباني على أن يجسد بشكل متكرر ما قد يترتب على سقوط الراهب من يأس في الخلاص، ومن ثم ترك الصحراء والعودة إلى العالم، بوصفه الهزيمة الأكثر فداحة للحياة الرهبانية والانتصار الأسمى للشيطان وأعوانه.[٣] وإذا كان ذلك كله مرتبطاً بطبيعة الفكر الرهباني الذي أقام تضادًا بين "الصحراء" و"العالم"، وكان شعاره الأسمى "الموت عن العالم"،[٤] فإنه يعكس أيضًا قلقًا من ظهور فئة الرهبان فشلت في تحقيق هذا النموذج وبدأت ترنو إلى ترك "الصحراء" والعودة ثانية إلى "العالم" ، قلق يشي به كثير من قصص الأدب الرهباني،[٥] وتجسده "أقوال الآباء"، كمقولة أحد الآباء: "لم يغادر الآباء السابقين أماكنهم إلا لأسباب ثلاثة"، أولها "أن تُشن عليهم حرب الشهوة"[٦]؛ وسؤال الأنبا هيلاريون: "كيف لا ينزعج المرء وهو يرى بعض الرهبان يعودون إلى العالم؟!".[٧]

وعلى ذلك؛ يمكن القول بأنه من وجهة النظر الديرية كانت ثمة مبررات حقيقية– بعضها يتعلق بالأيديولوجية الرهبانية، وبعضها يرتبط بالممارسة والواقع العملي للحياة الرهبانية– لترويج صورة سلبية عن المرأة العلمانية، تردد صداها عبر صفحات نصوص الأدب الرهباني. وعند هذه النقطة قد تُثار بعض الإشكاليات، وهي: إذا كانت هذه النصوص قد عكست قلقًا وخوفًا، أو بعامة نظرة ما سلبية، للجماعة الرهبانية تجاه نساء "العالم" بوصفهن أداة لـ

---

(١) تشير القصة إلى أن الراهب أقنعه بالعدول عن رغبته في العودة إلى العالم ونصحه بالتوبة قائلا: "كلا يا أبتي! بل امكث في مكانك، واطرد المرأة، فما حدث لك ما هو إلا تجربة من عدو الخير". *The Sayings* (SC), p. 178. (أقوال الآباء، ص٢١٤–٢١٥).

(2) *The Sayings* (SC), pp.138-139. (أقوال الآباء، ص١٦٦–١٦٧). وتنتهي قصة هذا الناسك أيضا بتوبته على يد أحد النساك "*The Sayings*بأن أعلن له أن الرب قد قبل توبة الزانية". كذلك؛ ثمة قصص لرهبان تم اكتشاف استضافتهم لنساء من "العالم" داخل قلاياتهم. *Sayings* (SC), p. 92. (أقوال الآباء، ص١٠٨).

(٣) في إحدى قصص "أقوال الآباء" راح أعوان الشيطان يعددون أمامه ما أحدثوه من تدمير لحياة "العالم" من إثارة للحروب والثورات وسفك للدماء في أيام معدودات، ومن بينهم جميعًا اختار الشيطان أحدهم ليتوجه بتاجه ويجلسه بجواره لكونه نجح في جر راهب بالصحراء إلى الخطيئة بعد أن ظل يصارعه أربعين عامًا. وقال له: "أعظم ما أقدره هو سقطة راهب". *The Sayings* (SC), pp. 146-147. (أقوال الآباء، ص٢١٤–٢١٥).

(٤) من بين "أقوال الآباء" مقولة الأنبا مكاريوس "جاهد للتغلب على رغبات الجسد فتقودك إلى الموت عن العالم". *The Sayings* (SC), p. 192. (أقوال الآباء، ص٢٢٩).

(٥) عن مثل هذه القصص انظر حاشية ٤٨ من البحث.

(6) *The Sayings* (SC), p. 190. (أقوال الآباء، ص٢٢٧).

(7) *The Sayings* (SC), p. 199. (أقوال الآباء، ص٢٣٦).

"شيطان الشهوة"، فهل امتدت هذه النظرة لتشمل كافة هؤلاء النساء؟ وإلى أي مدى تأثرت نساء "الصحراء" من الناسكات والراهبات بهذه الرؤية؟.

يقدم لنا الأدب الرهباني في أحيان قليلة للغاية قصصًا لنموذج مختلف من نساء "العالم" ممن استطعن بلوغ درجة من الصلاح، والاختلاف هنا يكمن في كونهن –من وجهة النظر الرهبانية– نجحن في إنكار رغبة الجسد وحققن مثالا عاليًا من التبتل والعفة، رغم كونهن لم ينخرطن في أي نمط من أنماط الحياة النسكية والرهبانية. وهو النموذج الذي يمكن أن نطلق عليه "الزوجات العذارى"، اللاتي عشن مع أزواجهن دون اتصال جسدي.(١) وباستثناء ذلك؛ لا نصادف في الأدب الرهباني إلا قصص معدودة لنساء صالحات من "العالم". ففي "أقوال الآباء"؛ لا نجد إلا ثلاث قصص فقط عن: امرأتين رفض زوجيهما رغبتهن في الانفصال والالتحاق بدير العذارى، لكنهن حققن –وهن في بيوتهن– درجة عالية من الحياة الروحية النقية؛(٢) وبغية تائبة تزوجها قاضي من أجل حياة فاضلة؛(٣) وزوجة تاجر– مسجون بسبب ديونه– صانت نفسها ضد رغبات أحد النبلاء رغم إغرائه لها بسداد هذه الديون.(٤) كذلك؛ لا لا يسجل بالاديوس في "التاريخ اللاوسي" إلا ثلاث قصص فقط لهذا النوع من النساء: الجارية السكندرية الجميلة بوتامياينا Potamiaena التي فشل سيدها في إغوائها؛(٥) والعذراء السكندرية ذات العشرين ربيعا التي دفعها حسنها حسنها إلى "التواري عن الآخرين كي لا تكون سببًا في سقوط أحدهم"، والتي أخفت الأنبا أثناسيوس في منزلها ست سنوات كاملة (٣٥٦–٣٦٢م) أثناء ملاحقة السلطات له؛(٦) والزوجة التي دفعت مقاومتها إغواء رجل إلى لجوئه لأحد السحرة، ومن ثم نجاحه في مسخها حصانا بسبب تقاعسها عن الذهاب إلى الكنيسة خمسة أسابيع متتالية.(٧)

وفيما عدا هذه الحالات؛ لم يصادف الباحث قصصًا من هذا النوع في نصوص الأدب الرهباني الأخرى، الأمر الذي يشي بأن نسبة ظهور نساء "العالم" الصالحات في هذه النصوص لا يمكن مقارنتها بنسبة أقرانهن ممن دفعن النساك والرهبان إلى السقوط، أو غيرهن ممن اقترفن الخيانة في حق أزواجهن مع رجال من "العالم".(٨) كذلك؛ رغم رغم أن هذه القصص– على قلتها– تقدم لنا نموذجًا مختلفًا من الزوجات والعذارى، إلا إن تركيز أغلب هذه القصص على كونهن لم يبلغن الصلاح إلا لإنكارهن عاطفة الجسد ومقاومتهن الإغواء– بل والتواري عن أنظار

---

(١) ورد في "أقوال الآباء" حالة واحدة من هذا النموذج Palladius, *The Sayings*, p.149. (أقوال الآباء، ص١٧٩). وثمة حالة أخرى ذكرها بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص٣٥٧–٣٥٨.

(2) *The Sayings* (SC), p. 150-151. (أقوال الآباء، ص١٨٠–١٨١).

(3) *The Sayings* (SC), p. 200. (أقوال الآباء، ص٢٣٧).

(4) *The Sayings* (SC), pp. 258-259. (أقوال الآباء، ص٢٩٤–٢٩٥).

(٥) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٤٦.

(٦) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٨٢–٤٨٣.

(٧) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٧٦.

(٨) يقدم الأدب الرهباني أيضًا نموذج الزوجة الساقطة، التي تسببت خيانتها في دفع زوجها إلى ترك العالم والانخراط في الحياة النسكية في الصحراء، كزوجة بولس البسيط تلميذ الأنبا أنطونيوس، الذي فضل أن "يعيش مع العقارب، ولا يعيش مع امرأة ساقطة". هيستوريا موناخورُم، ص ١٧٠؛ بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٩٩، ٤٠١.

الرجال حتى لا يكن سببًا في سقوطهم– يدفع إلى تفسير مضامينها في إطار الرؤية الرهبانية العامة للمرأة بوصفها مصدرًا للإغواء الجسدي، أو بعبارة أخرى يدفع إلى القول بأن هذه الرؤية كانت حاضرة في خلفية الصورة التي نسجها كتاب الأدب الرهباني عن نساء "العالم"، حتى عند تناولهم الصالحات منهن.

وعند هذه النقطة؛ قد يكون من الأفضل الانتقال إلى مناقشة صورة المرأة الناسكة أو الراهبة في الأدب الرهباني، ومدى تأثر هذه الصورة بالأيديولوجية الرهبانية تجاه نساء "العالم"، ورؤيتها للمرأة بوصفها مصدرًا للإغواء. وبداية؛ علينا ملاحظة أن ظهور هذا النموذج في الأدب الرهباني لا يمكن بأي حال مقارنته بأقرانهن من النساك والرهبان الذكور، فثمة غياب تام للشخصيات النسائية في فهارس الآباء والرهبان المذكورة سيرهم بكتب "تاريخ الرهبان" للرهبان السبعة وروفينوس وجيروم؛ ومن بين مائة وعشرين من الآباء المذكورين في "أقوال الآباء" لا نجد سوى ثلاث ناسكات فقط، هن ثيودورا وسارة وسينكليتيكا Syncletica. ويظل كتاب "التاريخ اللاوسي" لبالاديوس هو الاستثناء الوحيد في هذا السياق، فرغم أن شخصيات النساك والرهبان الذكور طغت على محتواه (نحو ثلاث وخمسون شخصية)، إلا إن تناوله نحو ثماني عشرة شخصية نسائية دفع وليم هارمليس William Harmless إلى حد وصفه بقوله: "لقد حاول بالاديوس أن يكون متوازنًا، فراح يرسم بوعي خريطة تجارب النساء المتنوعة في القداسة"؛ وبقوله: "في النصوص الكلاسيكية نادرًا ما كانت النساء محورًا للرواية، الاستثناء نجده في التاريخ اللاوسي لبلاديوس. فوصفه لسعى النساء لبلوغ القداسة شكل جزءًا من هدف روايته. إن بالاديوس يصر على أن اقتفاء طريق القداسة يتجاوز كل الحدود، حدود المفاهيم، وحدود الطبقات، وحدود النوع. وهكذا راح يقدم هنا وهناك صورًا تمثل مدى واسع من أنماط حياة النساء الناسكات".[١]

ولعل المدخل المنطقي لفهم سبب اختلاف بالاديوس عن غيره من كتاب الأدب الرهباني الباكر– من حيث تناوله لعدد من الشخصيات النسائية– يكمن في محاولة معرفة هدف روايته، وكما يتضح من عنوان الكتاب ومما أوضحه بالاديوس نفسه في مقدمته، أن هذا العمل كُتب تلبية لرغبة لاوسوس Lausus كبير أمناء القصر الإمبراطوري.[٢] وبدون الخوض في تفاصيل الرسالة المطولة التي أرسلها بالاديوس إليه، فضلا عن مقدمة الكتاب التي يخاطبه فيها أيضًا، يكفي الإشارة هنا إلى عبارة وردت في هذه المقدمة وتشي بأن تضمين شخصيات نسائية فيه جاء بناءً على طلب لاوسوس نفسه: "لقد طلبت روايات الآباء القديسين، ذكورًا وإناثًا".[٣] ورغم أن بالاديوس سعى إلى تلبية هذا الطلب، إلا إن الصورة التي قدمها لم تكن مثالية تمامًا، ويبدو أنه كان مدركا لذلك عندما أشار في مقدمته إلى أنه "رغم انشغال كثير من الإخوة بالعمل والإحسان والافتخار بالعزوبية والتبتل، إلا إنهم فشلوا في تحقيق السكون الداخلي".[٤] غير أن نتيجة المقارنة بين حالات سقوط شخصيات روايته الرئيسة من الرهبان والنساك والنساك الذكور بأقرانهم من النساء – مع الأخذ في الاعتبار أن نسبة الشخصيات النسائية المذكورة في الكتاب لا تشكل سوى حوالي الربع– ليست في صالح الأخيرات، ولا تشي بـ "توازن" رواية بالاديوس كما ذهب هارمليس. ففي الوقت الذي لم يتناول سوى حالة واحدة لسقوط راهب في الخطيئة، وهو هارون الذي غادر قلايته إلى الأسكندرية،

---

(1) Harmless, *Desert Christians*, pp. 284, 444.

(٢) كان لاوسوس كبير أمناء القصر وحاجبا للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني.

(٣) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٣٥.

(٤) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٣٧.

حيث التقى بممثلة وسقط معها،[١] خصص فصلين كاملين لشخصيتي "العذراء التي سقطت"[٢] و"الراهبة التي سقطت".[٣]

كذلك؛ تشي قصص بالاديوس عن شخصياته النسائية بتأثره الواضح بالأيديولوجية الرهبانية العامة تجاه المرأة، صحيح أن قصصه تتناول أنماط مختلفة لنساء بلغن القداسة، إلا إنها كثيرًا ما تقدم نجاحهن في إماتة رغبة الجسد والابتعاد عن طريق الرجال حتى لا يتسببن في سقوطهم كأحد المقومات الرئيسة التي أهلتهن لبلوغ هذه المنزلة. فالراهبة العذراء ألكسندرا Alexandra تركت المدينة وحبست نفسها في قبر لعشرة سنوات خشية "أن تتعثر نفس بسببها".[٤] كذلك؛ لم تحتمل إحدى راهبات دير طبانيس اتهامها بالسقوط – مع رجل كانت قد قابلته مصادفة خارج الدير– وفضلت أن تنتحر بإلقاء نفسها في النهر.[٥] وثمة راهبة أخرى بأحد أديرة أنتينوي ، تُدعى تاؤر Taor، أحجمت عن مرافقة أقرانها إلى الكنيسة آيام الآحاد خشية أن يُفتتن أحد بجمالها.[٦]

ولعل أفضل خاتمة عن صورة "القديسات" في مؤلف بالاديوس هي رؤيته هو نفسه عن كيفية بلوغ هؤلاء النساء هذه المنزلة، ففي مقدمة فصله الحادي والأربعين، تحت عنوان "نساء قديسات"، راح يقول: "من الضروري أيضًا أن أذكر في كتابي هذا بعض النسوة اللواتي تمتعن بعزيمة رجولية، وأعطاهن الله نصيبًا في الجهاد معادلا للرجال، كي لا يزعم أحد أن النساء أضعف من أن يمارسن الفضيلة بكمال. فقد رأيت كثيرات مثل هؤلاء، وقابلت عذارى وأرامل متميزات".[٧] والمدقق في هذه المقولة يلاحظ أن بالاديوس رغم انتقاده لمن يزعمون بأن "النساء أضعف من أن يمارسن الفضيلة بكمال" – ولعله يعبر هنا عن الرؤية الرهبانية الذكورية للنساء–، إلا إنه فيما يبدو ظل متأثرًا بذات الرؤية عندما أعلن أن قديساته لم يبلغن منزلتهن إلا بتمتعهن "بعزيمة رجولية"، أو بعبارة أخرى لأنهن تغلبن على طبيعتهن الأنثوية واكتسبن صفات ذكورية.

---

(١) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٠٩–٤١٠. وكما يروي بالاديوس، "كانت العاقبة أن أُصيب بتعفن في أعضائه" وعندما شُفي تاب وعاد إلى حياته الروحية ثانية.

(٢) يذكر بالاديوس أنها راهبة عذراء ظلت في قلايتها ست سنوات، لكنها في النهاية سقطت، حيث أدخلت إليها الرجل الذي كان يخدمها وعانقته، لأنها "كانت تمارس النسك ليس عن دافع روحي، ولا عن محبة لله، ولكن عن حب الظهور البشري". بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤١٢.

(٣) يروى بالاديوس أنها راهبة عذراء تنسكت لتسع أو عشر سنوات، ثم أغواها ممثل فسقطت وولدت طفلا، إلا إنها تابت وقُبلت توبتها. بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٨٨–٤٨٩.

(٤) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٣٤٩–٣٥٠.

(٥) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٢٢–٤٢٣.

(٦) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٧٧. ويقول عنها بالاديوس: "كان جمالها فائقا، حتى أن أكثر المتصلبين يُفتتون به، إلا إن عفتها عفتها الفائقة للوصف كانت لها حارسا". ويمكن هنا اقتباس عبارة ريبيكا كراويس المتطابقة تماما مع رؤية بلاديوس لهذه الشخصيات تحديدا، إذ تقول: "لقد سعت هذه النساء إلى العزلة كمبادرة منهن ولم تُفرض عليهن. كذلك، غالبا ما سعين ليس فقط إلى حماية أنفسهن من رغبتهن الجسدية، بل أيضا من الرؤية الذكورية (كما عكست المصادر الذكورية) التي جعلت إغوائهن مصدر خطر على الرجال. لقد تحملت النساء مسئولية كل من كبح رغباتهن الجسدية، وكذلك عزل أنفسهن كي لا يغوين الرجال".

Krawiec, *Shenoute*, p. 123.

(٧) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص ٤٤٨.

وذات المفهوم الذي عبر عنه بالاديوس نصادفه أيضًا في بعض الكتابات الهجيوجرافية التي تناولت سير قديسات من القرنين الرابع والخامس الميلاديين، كسيرتي القديسة ماريا المصرية Mary of Egypt وبلاجيا الأنطاكية Pelagia of Antioch، اللتان تركزان على ماضيهن كبغايا حققن التوبة على يد شخصية دينية ذكورية. ففي كلتا السيرتين؛ لم تبلغ أي منهما القداسة إلا من خلال سعيهما للتخلص من طبيعتهما الأنثوية، حيث وُجدت ماريا عارية في الصحراء، بالكاد يستطيع المرء تمييز كونها مخلوق بشري: فقد احترق جسدها وتحول إلى اللون الأسود من أثر الشمس، وقُص شعرها الأبيض كالرجل.(١) أما بلاجيا فقد دخلت الدير متخفية في هيئة خصي(٢) – أو كما تقول مارلين دون Marilyn Dunn "مخلوق بين الذكورة والأنوثة"–،(٣) وظلت به أربع سنوات دون أن يكتشف أحد كونها أنثى إلا وقت موتها.(٤) ودون الدخول في تفاصيل إشكالية ظاهرة تخفي بعض الراهبات في هيئة هيئة الخصيان أو الرجال لدخول الأديرة الذكورية، خاصة وأنها لاقت اهتمامًا كبيرا في الدراسات الحديثة،(٥) فما يهمنا من هذه الظاهرة هو أنها تشي بلجوء بعض الراهبات إلى الحيلة للقفز على حدود "النوع" التي خلقتها الأيديولوجية الرهبانية وقتذاك، والأهم من هذا أنها قد تلمح ضمنا إلى أن الراهبات أنفسهن تأثرن بهذه الأيديولوجية فسعين إلى الاستجابة لها، أو بالأحرى التماشي معها، بالتخلي عن هيئتهن الأنثوية وانتحال هيئة ذكورية، وهو الأمر الذي تعكسه بوضوح سيرة القديسة ماريا، التي عاشت ببلاد الشام في القرن الخامس الميلادي، في حوار بينها وبين أبيها، جاء فيه على لسان الأب: "ابنتي، ماذا أفعل معك وأنت أنثي ورغبتى في دخول الدير تجتاحني؟ كيف

---

(1) The Life of St. Mary of Egypt, trans. M. Kouli, in: *Holy Women of Byzantium: Ten saints' Lives in English Translation*, ed. A-M. Talbot, Washington DC., 1996, pp. 65-94; Coon, L.L., *Sacred Fiction: Holy Women and Hagiography in Late Antiquity*, Philadelphia, 1997, pp. 84-94; Burrus, V., *The Sex Lives of Saints: An Erotics of Ancient Hagiography*, Philadelphia, 2004, pp. 147-154.

(٢) عن سيرة بلاجيا الأنطاكية، أنظر:

The Life of St. Pelagia of Antioch, in: *Holy Women of the Syrian Orient*, trans. S. Brock & S.A. Harvey (Berkeley, Los Angeles, 1998, pp. 40-62; Coon, *Sacred Fiction*, pp. 77-84; Burrus, *Sex Lives of Saints*, pp. 137-146.

(3) Dunn, M., *The Emergence of Monasticism from the Desert Fathers to the Early Middle Ages*, Oxford, Oxford, 2003, p. 53.

(4) Miller, P.C., "Is there a Harlot in This Text? Hagiography and the Grotesque", *Journal of Medieval and Early Modern Studies* 33 (2003), pp. 419-435.

(5) Delcourt, M., "Female Saints in Masculine Clothing", *Hermaphrodite: Myths and Rites of the Bisexual Figure in Classical Antiquity*, trans. J. Nicholson, London, 1961, pp. 84-102; Anson, J., "The Female Transvestite in Early Monasticism: The Origin and Development of a Motif," *Viator* 5 (1974), pp. 1–32; Patlagean, E., "L' histoire de la femme déguisée en moine et l' évolution de la sainteté à Byzance", *Studi Medievali* ser.3, 17(1976), 597-623, repr. In: idem, *Structure sociale, famille, chrétienté à Byzance, IVe-XIe siècle*, London, 1981, no. XI; Castelli, C., "I Will Make Mary Male': Pieties of the Body and Gender Transformation of Christian Women in Late Antiquity," in: *Body Guards: The Cultural Politics of Gender Ambiguity*, ed. J. Epstein and K. Straub (New York: Routledge, 1991), 29–49; Davis, S.J., "Crossed Texts, Crossed Sex: Intertextuality and Gender in Early Christian Legends of Holy Women Disguised as Men," *Journal of Early Christian Studies* 10 (2002), pp. 1-36.

وثمة شاهد على كون هذه الظاهرة تعود إلى فترة مبكرة من ظهور الرهبانية في مصر، وأن الكنيسة اتخذت موقفا كارها ومعارضا لها منذ البداية، فالقانون الثالث عشر من مجمع جانجرا Gangra ببفلاجونيا منتصف القرن الرابع أدان بشدة تخفي الراهبات في زى الرجال.

Elm, *Virgin of the God*, pp. 108-111; Sterk, A., *Renouncing the World yet Leading the Church: the Monk-Bishop in Late Antiquity*, London, 2004, pp. 28-29.

تبقين معي ومن خلال بنات جنسك يشن الشيطان حربه على خدام الرب؟"، فأجابته ابنته: "ليس الأمر كذلك أبتي، فلن أدخل معك الدير بالشاكلة التي تظنها، بل سأقص شعري أولا، وأتخفى في زى الرجال، وعندئذ سأصحبك إلى الدير".(١)

وإذا كان مفهوم اقتران قداسة المرأة بتخليها عن الضعف "الأنثوي" واكتسابها صفات "ذكورية" قد أُشير إليه ضمنا عند بالاديوس وكتاب هجيوجرافيا العصر الباكر، فإنه يصير أكثر وضوحًا ومباشرة في مجموعة "أقوال الآباء". إذ تحوى قصتي ناسكتين لجئتا إلى التخفي في هيئة الرجال حتى يستطعن ممارسة النسك في الصحراء. إحداهما تروى دخول الأنبا بيصاريون Bessarion وأحد رهبانه مغارة ليستريحا فيها من عناء رحلة، فوجدا فيها ناسكا منهمكا في نسج عباءة، لم يلتفت إليهما أو يتحدث معهما، فتركاه وواصلا رحلتهما، وفي طريق العودة عرجا على ذات المغارة ليجدا الناسك قد فارق الحياة، وعندما حملاه لدفنه، كانت المفاجأة التي أدهشتهما، حيث اكتشفا أنه امرأة.(٢) وذات الدهشة أصابت أيضًا جماعة من "العالم" عندما زاروا ناسكا، فتلقاهم بفرح بالغ، وقال لهم: "لقد أرسلكم المسيح لتدفنوني، لا زال جسدي طاهرًا، إلا إن روحى تتعرض لهجوم وحشي من شيطان الشهوة"، وبقوله هذا فارق الحياة، وعندئذ اكتشف هؤلاء أنها امرأة عذراء.(٣) ويعلق براكي على هذه القصة بقوله: "من خلال حياة النسك، خاصة عبر معركتها القاسية مع شيطان الشهوة، أثبتت عذراتنا المجهولة نفسها كرجل؛ ولما لا وقد حققت فضيلة ضبط النفس الذكورية".(٤) وهذه الفضيلة أيضا أهلت الأم سارة، إحدى الناسكات القليلات المذكورة أسماؤهن في "أقوال الآباء"، لبلوغ منزلة القداسة، حيث ظلت لسنوات طويلة تقاوم –شأنها في ذلك شأن أقرانها من النساك الذكور– شيطان الشهوة،(٥) وكان انتصارها في هذه الحرب مقدمة لاجتياز اختبار دبره لها اثنان من الآباء، ذلك عندما ذهبا إليها وهما يظنان أن زيارة والتماس النصيحة من "مجرد امرأة" قد يولد في نفسها شعورا بالزهو، إلا إنها لم تهن وواجهتهما بقولها: "أنا امرأة بطبيعتي، لكن ليس بأفكاري".(٦) وفي مناسبة أخرى، راحت تخاطب زائريها من رهبان الأسقيط قائلة: "أنا من أكون الرجل، وأنتم النساء".(٧) ويتجه براكي إلى إمكانية القول بأن "الأم سارة والراهبة المجهولة قد صرن ذكورًا بحياتهن وسلوكهن النسكي".(٨) وفي ذات الاتجاه ترى سوسانا إيلم أن مثل هذه الأقوال تعكس بلوغ

---

(1) "Life of St. Mary/Marinos", trans. N. Constas, Holy Women of Byzantium: Ten saints' Lives in English Translation, ed. A-M. Talbot, Washington D.C., 1996, pp.1-12, esp. 7.

(2) The Sayings (AC), p.41.

(٣) هذه القصة غير مذكورة في مجموعتى "أقوال الآباء" المستخدمتين في البحث، وإنما منشورة في Revue de l'orient chrétien 12 (1907): 393، وقد اعتمد الباحث على ترجمة براكي لها في بحثه: Brakke, "The Lady Appears", p. 387.

(4) Brakke, 'The Lady Appears", p. 389.

(5) The Sayings (SC), p. 127. (أقوال الآباء، ص١٥٢)؛ The Sayings (AC), p. 229 .

(6) The Sayings (AC), p. 230.

(7) The Sayings (SC), p. 257.
من الملاحظ أن ثمة خطأ في الترجمة العربية، حيث جاءت المقولة كالتالي: "أصبحت نظرتي لنفسي كأننى رجل"، انظر: أقوال الآباء، ص٢٩٢؛ The Sayings (AC), p. 230.

(8) Brakke, 'The Lady Appears", p. 390.

درجة فريدة من السمو الروحى، فـ "بالنسبة للناسك المثالي تختفي مسألة كونه ذكر أم أنثى، لأنه أو لأنها تتسامى فوق الحدود التي صاغها الجسد، فالتنسك يعني انتفاء التمييز الجسدي".(١)

وآيا كانت رؤية براكي وإيلم للنموذج النسكي الذي أَهل هؤلاء الناسكات لبلوغ درجة الانتفاء الجسدي أو التحول إلى الذكورة، فما يهمنا هنا في المقام الأول هو تأثرهن الواضح بالأيديولوجية الرهبانية المحيطة بهن. فلجوؤهن إلى التخفي في هيئة الرجال لم يكن فقط لمجرد وقاية أنفسهن من الاعتداء الجسدي من قبل لصوص الصحراء أو لأن عددًا من الرهبان الذكور لم يتقبلوهن كإناث – كما يذهب جيليان كلوك–،(٢) بل لكونهن – وهذا الأهم في رأيي– سعين إلى التعاطي مع ثقافة ذكورية اعتبرت الصحراء منطقة نفوذ للنساك والرهبان الذكور، ثقافة رأت في القداسة منزلة لا ينالها إلا الذكور أولاً، ثم من يستطيع أن يُضفي على نفسه هيئة وفكرًا ذكوريًّا ثانيًا.(٣) كما أن نصوص الأدب الرهباني لا تشي بما تذهب إليه سوسانا إيلم من "انتفاء التمييز الجسدي مع مثالية النسك"، فأقوال الأم سارة ذاتها تلمح إلى موقف دفاعي ضد الآخر، وتشي أيضًا بأنها رغم ما بلغت في حياتها الروحية كانت موضع اختبار من اثنين من الآباء الذكور، اللذين نظرا إليها –كما جاء في النص– كـ "مجرد امرأة".(٤) ومن ثم يمكن مناقشة رأي إيلم في سياق الاختلاف بين ما هو نموذج مأمول وما هو كائن بالفعل، وبديلاً عن فكرة "انتفاء التمييز الجسدي" هذه، يمكن القول ببساطة بأن الرسالة التي أرادت هذه "الأقوال" إبلاغها للراهبات والناسكات قبل غيرهن، أنهن إذا رغبن في كمال الحياة النسكية والقداسة فعليهن التخلي عن ضعفهن الأنثوي والتحلي بالقوة الذكورية، أو كما عبرت الأم سارة "امرأة بالطبيعة" و"رجل بالفكر". وهذا الوجوب ليس خاصا بالنساء وحدهن، بل كان على النساك والرهبان الذكور أيضًا ألا يستطيعوا تمييز الاختلاف بين الرجال والنساء، فثمة قصة لناسكة عنفت راهبًا ذكرًا – عاد عن طريقه عندما إلتقى بها وراهباتها مصادفة– بقولها: "لو كنت راهبًا حقيقيًا ما كنت رأيتنا كنساء".(٥) وهذا النموذج المأمول عبر عنه بالاديوس بوضوح في حديثه عن سيسينيوس Sisinius الذي ترأس جماعة من الراهبات،

---

(1) Elm, Virgins of God, p. 267.

(2) Cloke, G., *"This Female Man of God": Women and Spiritual Power in the Patristic Age, A.D. 350-450*, London, 1995, p. 196; Brakke, 'The Lady Appears", p. 388.

واستكمالا لهذا الرأي؛ يتجه كل من ريبيكا وكلوك – إلى هذا العداء الصريح من قبل الرهبان الذكور جعل "نساء الصحراء – اللاتى لا يخفين أجسادهن الأنثوية عن أنظار الذكور أو لا يرتدين ملابس ذكورية– عرضة للشبهة والاختبار القاسي". Cloke, *Female Man*, pp. 197-198; Krawiec, *Shenoute*, p. 123.

(٣) تذكر كراويس أن أولئك الناسكات "اخترن الذهاب للصحراء كمكان يتحررن فيه من حدود وقيود النوع، أو الصفات المقترنة بالاختلاف بالاختلاف الجسدي. حيث غرست فيهن الأيديولوجية الثقافية عن النوع مفهوم السعى نحو العيش كرجال. فقد كان أباء الصحراء نافرين من الاتصال بالنساء، أو الاعتراف بقدرتهن على أن يصبحن راهبات. ومن ثم سعت النساء إلى التحرر من نوعهن ومضامينه السلبية".

Krawiec, *Shenoute*, p. 123.

(٤) بل إن براكي وكلوك يعتبران هذه المقولات شاهدا على وجود عدد من الرهبان لم يتقبلوا أقرانهم من الإناث، وكانوا أعداءً صريحين لهن.

Cloke, *Female Man* , pp.196-197; Brakke, 'The Lady Appears', p.388.

(5) *The Sayings* (SC), p. 162. (أقوال الآباء، ص ١٩٥).

واستطاع "بعفة سلوكه التحكم في رغباته الطبيعية كرجل، وهدأ بضبطه لذاته الطبيعة الأنثوية التي للنساء، حتى تمت فيه كلمات الكتاب المقدس[١]: في المسيح، لا ذكر ولا أنثى".[٢]

وإذا كان الأدب الرهباني قد امتدح الراهبة التي تبلغ درجة مثلى في نمط حياتها الديرية، أو تثبت قوة وصلابة في الحرب مع "شيطان الشهوة"، وعزا ذلك كله إلى تخليها عن "الضعف الأنثوي" وتبنيها "صفات ذكورية"، فإنه من ناحية أخرى وظف أيديولجيته العامة تجاه المرأة وتأثيرها الواضح على الراهبات أنفسهن للتأكيد على الاختلاف بين الذكر والأنثى، ومن ثم حاجة الأنثى الدائمة إلى الإشراف والرعاية الروحية الذكورية. فقد راح شنودة الإتريبي Shenoute يدافع عن زعامته وإرشاده لدير الراهبات الملحق بديره بتذكيرهن بـ "سهولة انقياد النساء للشيطان بسبب طبيعتهن الأقل تعقلا والأكثر جنوحا للشهوة"، وراح يصف الراهبات اللاتي لا يخضعن أنفسهن لإرشاد الرجال بكونهن "يمضين أوقاتهن في أخذ المشورة من الشيطان"، كما راح يخبر الراهبات المتمردات بأن قلوبهن وأجسادهن "مخادع للأرواح النجسة".[٣] وعبر ويصا Besa، خلف شنودة في رئاسة الدير الأبيض، عن ذات المفاهيم في خطابه إلى الراهبة هيراي Herai – التي أصرَّت على مغادرة الدير والحصول على متعلقاتها رغم رفضه– حين راح يصفها بـ "إبنة بابل Babylon التي تمارس الخطيئة مع الشياطين، والتى سينكشف أمرها للأخرين يوما ما".[٤]

وعلى ذلك؛ يمكن القول بأن الرهبانية نشأت ظاهرة ذكورية ومجال نفوذ للرجال وكان لزامًا – من وجهة نظر قادتها– أن تظل كذلك. وما ساد الأدب الرهباني "الذكوري" من صورة سلبية عن المرأة بوصفها أداة لشيطان الشهوة في حربه ضد هذا العالم الذكوري، يعكس محاولة هدفت في المقام الأول إلى إقامة حد فاصل بين هذا العالم وعالم "النساء"، أو بمعنى أخر الحفاظ عليه والاحتفاظ به مجال نفوذ ذكوري فقط. ولأن ضرورات الواقع لم تتح استمرار المأمول وفرضت اقتحام المرأة لهذا العالم وظهور الرهبانية النسائية – الذي كان في حد ذاته استجابة لحاجة ذكورية–، فقد كان على الوافدون الجدد على هذا العالم من الناسكات والراهبات أن يلتزمن بأفكاره ومضامينه الذكورية. فالانخراط وسط عالم يسوده ويسيطر عليه نساك ورهبان فرض عليهن قيمًا متناقضة؛ ففي الوقت الذي كان عليهن التعاطي مع أيديولوجته العامة بالتخلي عن طبيعتهن الأنثوية واكتساب صفات ذكورية، وجب عليهن أيضًا ألا يتناسين طبيعتهن الأنثوية الضعيفة التي تحتاج دوما إلى إرشاد وإشراف الذكور.

عبد العزيز رمضان
كلية الآداب- جامعة عين شمس

---

(١) الرسالة إلى مؤمنى غلاطية ٣: ٢٨.

(٢) بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص٤١١.

(3) Krawiec, *Shenoute,* p.110-111; Brakke, *Demons*, p. 196.

(4) Behlmer, H., "The City as Metaphor in the Works of Two Panopolitans: Shenoute and Besa," in A. Egberts, B. P. Muhs, and J. van der Vliet, eds., *Perspectives on Panopolis: An Egyptian Town from Alexander the Great to the Arab Conquest; Acts of an International Symposium Held in Leiden on 16-18 December 1998* (Leiden, 2002), 13–27, esp. 25.

قائمة المصادر والمراجع

أولا. المصادر المعربة

الكتاب المقدس

"أقوال الآباء وتأملاتهم الروحية"، ضمن كتاب بستان القديسين، ترجمة ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٩٩م.

بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة الأب بولا ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٣م.

روفينوس الأكويلّي، هستوريا موناخورُم "تاريخ الرهبان"، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة الأب بولا ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٣م.

هيستوريا موناخورُم "تاريخ الرهبان في مصر (الرهبان السبعة)"، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة الأب بولا ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، ٢٠١٣م

ثانيا. المصادر والمراجع الأجنبية

Anson, J., "The Female Transvestite in Early Monasticism: The Origin and Development of a Motif," *Viator* 5 (1974), pp. 1–32.

Athanasius, *Vita Antoni*, in: Athanasius, *Selected Works and Letters* [*Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church*, Vol.4], trans. P. Schaff & H.Wace, pp.181-221.

Banks, S.R., *Blazing Walls, Blazing Brothers: Monks and the Making of the Demon in the Pachomian Koinonia*, Ph. D., The Catholic University of America, Washington, D.C., 2011.

Behlmer, H., "The City as Metaphor in the Works of Two Panopolitans: Shenoute and Besa," in A. Egberts, B. P. Muhs, and J. van der Vliet, eds., *Perspectives on Panopolis: An Egyptian Town from Alexander the Great to the Arab Conquest; Acts of an International Symposium Held in Leiden on 16-18 December 1998* (Leiden, 2002), 13–27, esp. 25.

Brakke, D., "Ethiopian Demons: Male Sexuality, the Black-Skinned Other, and the Monastic Self", *Journal of the History of Sexuality* 103/4 (2001), pp.501-535.

Brakke, D., "The Lady Appears: Materialization of 'Woman' in Early Monastic Literature", *Journal of Medieval and Early Modern Studies* 33/3 (fall 2003), pp.387-402.

Brakke, D., *Demons and the making of the Monk: Spiritual Combat in Early Christianity*, Cambridge, 2006.

Brown, P., *The Body and Society: Men, Women and Sexual Renunciation in Early Christianity*, New York, 1988.

Burrus, V., *The Sex Lives of Saints: An Erotics of Ancient Hagiography*, Philadelphia, 2004.

Castelli, C., "I Will Make Mary Male': Pieties of the Body and Gender Transformation of Christian Women in Late Antiquity," in: *Body Guards: The Cultural Politics of Gender Ambiguity*, ed. J. Epstein and K. Straub (New York: Routledge, 1991), pp.29 – 49.

Clark, E.A., "Holy Women, Holy Words: Early Christian Women, Social History, and the 'Linguistic Turn' ", *Journal of Early Christian Studies* 6/3(1998), pp.413-430.

Clark, E.A., "The Lady Vanishes: Dilemmas of a Feminist Historian after the 'Linguistic Turn' ", *Church History* 67 (1998), pp.1-31.

Clark, E.A., "Women, Gender and the Study of Christian History", *Church History* 70 (2001), pp.395-426.

Cloke, G., *"This Female Man of God": Women and Spiritual Power in the Patristic Age, A.D. 350-450*, London, 1995.

Coon, L.L., *Sacred Fiction: Holy Women and Hagiography in Late Antiquity*, Philadelphia, 1997.

Davis, S.J., "Crossed Texts, Crossed Sex: Intersexuality and Gender in Early Christian Legends of Holy Women Disguised as Men," *Journal of Early Christian Studies* 10 (2002), pp.1-36.

DeConick, A.D., *Holy Misogyny: Whey the Sex and Gender Conflicts in the Early Church still Matter*, New York, London, 2011.

Delcourt, M., "Female Saints in Masculine Clothing", *Hermaphrodite: Myths and Rites of the Bisexual Figure in Classical Antiquity*, trans. J. Nicholson, London, 1961, pp.84-102.

Dunn, M., *The Emergence of Monasticism from the Desert Fathers to the Early Middle Ages*, Oxford, 2003.

Elm, S., *'Virgins of Gods": The Making of Asceticism in Late Antiquity*, Oxford, 1994.

Evagrius, "To Eulogios. On the Confession of Thoughts and Counsel in their Regard", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.12-59.

Evagrius, "To Monks in Monasteries and Communities and Exhortation to a Virgin", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.115-135.

Evagrius, "Prakitkos. The Monk: A Treatise on the Practical Life", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.91-114.

Evagrius, "On the Vices Opposed to the Virtues", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.60-65.

Evagrius, "On the Eight Thoughts", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.66-90.

Evagrius, "On Thoughts", in: *Evagrius of Pontus. The Greek Ascetic Corpus*, trans. R. E. Sinkewicz, Oxford, 2006, pp.136-182.

Harmless, W.S.J., *Desert Christians: An Introduction to Early Monastic Literature*, New York, 2004.

Krawiec, R., *Shenoute and the Women of the White Monastery*, New York, 2002.

Kuznetsova, A., "A Wall of Bronze' or Demons Versus Saints: Whose Victory?", in: *Christian Demonology and Popular Mythology*, ed. Pócs & G. Klaniczay, Budapest, New York, 2006, pp.45-53.

Miller, P.C., "Is there a Harlot in This Text? Hagiography and the Grotesque", *Journal of Medieval and Early Modern Studies* 33 (2003), pp.419-435.

Patlagean, E., "L' histoire de la femme déguisée en moine et l' évolution de la sainteté à Byzance", *Studi Medievali* ser.3, 17(1976), pp.597-623. repr. In: idem, *Structure sociale, famille, chrétienté à Byzance, IVe-XIe siècle*, London, 1981, no. XI.

Sterk, A., *Renouncing the World yet Leading the Church: the Monk-Bishop in Late Antiquity*, London, 2004.

St. Jerome (St. Hieronymus), *The Histories of the Monks who lived in the Desert of Egypt*, in: *The Paradise of the Holy Fathers*, vol. 2, trans. E.A.W. Budge, London, 1907.

The Life of St. Mary of Egypt, trans. M. Kouli, in: *Holy Women of Byzantium: Ten saints' Lives in English Translation*, ed. A-M. Talbot, Washington D.C., 1996, pp.65-94.

Life of St. Mary/Marinos, trans. N. Constas, *Holy Women of Byzantium: Ten saints' Lives in English Translation*, ed. A-M. Talbot, Washington D.C., 1996, pp.1-12.

The Life of St. Pelagia of Antioch, in: *Holy Women of the Syrian Orient*, trans. S. Brock & S.A. Harvey (Berkeley, Los Angeles, 1998, pp.40-62.

The Sayings of the Holy Fathers: The Systematic Collection, in: *The Paradise of the Holy Fathers*, vol. 2, trans. E.A.W. Budge, London, 1907.

The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection, trans. B. Ward, Kalamazoo, Oxford, 1975.

Vos, N., "Demons and the Devil in Ancient and Medieval Christianity: Introduction, Summary, Reflection", in*: Demons and the Devil in Ancient and Medieval Christianity*, ed. N. Vos & W. Otten, Leiden, Boston, 2011, pp.3-36.